مشاعر كعب بن زهير تجاه النبي ﷺ في قصيدة بانت سعاد

إكرام الحق يسين*

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، فإن قصيدة كعب بن زهير(١)رضى الله عنه تعد من أنفس أساليب المديح النبوي الشريف وأبلغها، ويزيدها جمالا وقوة نسقها من أولها إلى آخرها، في حين أن شخصية الشاعر أيضاً عامل مهم في جودة هذه القصيدة، فالشاعر وهو أبوالمضَّرب كعب بن زهير (٢٦ هـ / ٦٤٥م) بن أبي سُلمَى ربيعةبن رياح، ينتمى إلى قبيلة مزينة وينتهى نسبه إلى عدنان، (٢) كان شاعرًا مُجَوّدًا كثير الشِّعر مقدَّمًا في طبقته، وأبوه زهير بن أبي سلمى من أشعر شعراء العرب، ولكعب ابنٌ شاعِرٌ اسمه عُقبة الملقب بالمضَرَّب شاعر، وابنه عوام- شاعرٌ أيضاً، وخاله شاعر، وعمته سُلمَى شاعرَة، وأخته خنساءُ شاعِرة أيضاً - (٣) وقد أثر ذلك كله في نظم هذه القصيدة، كما أن سبب نظمها هو الآخر زاد من اعتبار القصيدة، وقصتها أنّ بُجَيرًا أخو كعب جاءَ النبيَّ ﷺ وأسلَمَ(٤) لما كان يعلمُ بمبعث رسول الله ﷺ بإخبار والده زُهيرٍ بمجالسة أهل الكتابِ، وأنه قَرُبَ زمَانه. فلمَّا بلغَ كعبًا إسلامَ أخيه كتَبَ له أبياتًا يذُمُّ فيهاالدينَ٥، وكان كعبٌ قدقال أبياتًا مَطلعُها :

ألا أبلِغا عَنّي بُجَيرا رسالَة فوَيحك فيما قُلتَ ويحَك هل لكا

ومن بين هذه الأبيات قوله:

وخالفتَ أسبابَ الهدَي وتَبِعتَه على أيّ شيءٍ ويب غَيرك دلكا

ثم هرب من هناك،وطفق يجول في الأرض يهجو المسلمين ونساءهم، ويؤذيهم بشعره، فعلم النبي ﷺ بذلك فأهدر دمه، فقال عليه السلام: ''مَنْ لَقِيَ كَعْبًا فَلْيَقْتُلْه''، فاستمر كذلك لفترة من الزمان، والإسلام ينتشر في مشارق الأرض ومغاربها فطاف بين القبائل، واستعان بأصدقائه، ولكن لم يجره من رسول الله ﷺ أحد فضاقت عليه الأرضُ بما رحبت، وبرئ عنه جميع من كان يأمل فيهم. فما لبث أن وصلته رسالة من أخيه بجير يقول: أسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقتل من جاءه تائبا، فإن لم تفعل فانج بحياتك في الأرض. ويقال أنه بعث إليه بأبيات يقول فيها :

مَن مبلِّغ كعبًا فهل لك في التى تلومُ عليها باطلًا وهى أحزم

إلى الله لاالعُزَّي ولااللاتِ وحدَه فتنجو إذاكانَ النجاة وتسلم

لدَى يومٍ لاينجو وليس بمفلِتٍ من النارِ إلَّاطاهرُ القلبِ مسلم

فَدِين زهير وهو لاشيءَ دِينه ودِين أبي سُلمَى عليّ مُحَرَّم(٦)

فعند ذلك رقّ قلب كعب، ووثق بعفو الصادق الأمين، فنزل إلى المدينة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على شدة ارتباط الناس مع النبي ﷺ ومع الإسلام مع حداثة عهدهم بهما. ومن هنا يقول البعض أن كعباً نظم هذه القصيدة خوفاً من رسول الله ﷺ، ولكنني أرى أن نظمه إياها كان من اقتناعه بحقية دين محمد ﷺ بعد أن رأى بأم عينه من تمسك الناس به وبدينهﷺ فشرح الله صدره للإسلام،واطمأن، وغمره حب النبي ﷺ فأراد الحضور إليه

* امين مجلس الفكر الاسلامى الحكومة الفدرالية ، اسلام آباد ، باكستان.

عليه السلام وإعلان التوبة في حضرته، إلاّ أنه أخذ بالحيطة واستشفع بأبي بكر رضى الله عنه كما سيظهرمن ترتيب أبيات قصيدته. ويؤيد ذلك قصة قدومه إلى مسجد النبي واستشفاعه أبابكر في حضرته، فمجرد أن أذن له رسول الله ﷺ لم يصبر على حاله إلا أن قال: "أنا كعب بن زهير يارسول الله"، وكان ذلك حوالي السنة التاسعة من الهجرة النبوية الشريفة.(٧) وسوف نشير إلى ذلك أثناء دراسة مشاعره في القصيدة تجاه النبي ﷺ. والدليل الآخر على ذلك أن أسلوب إلقائه لقصيدته لا يمت بالخوف بصلة بل يظهر منه أنه كان هادئ البال مطمئن القلب أثناء إلقائها، وكان يتفنن في أساليب بلاغية طبيعية من التشبيب والتغزل وذكر الناقة، والاستعانة بالأصدقاء، والاستيجار بالقبائل، وما إلى ذلك، وذلك كله للوصول إلى ذكرالنبي ﷺ. والناظر في القصيدة يشاهد أسلوب الالتفات القوي من ذكر الحبيبة وأوصافها التي تدعو إلى حبها والتعلق بها، ثم ذكر الناقة التي يركبها الشاعر وراء حبيبته وما يتعلق بها من ملامسات وملابسات، ثم ذكر أحبته وأصدقائه.... إلى أن أتى على ذكر الحبيب المصطفى بأسلوب بليغ رويدا وهويدا، وإليك مثال ذلك في قوله:

فقُلتُ خَلُّوا سبِيلي لاأبا لَكُمُو فكل ماقدَّرَ الرحمن مفعول

وكلما تعمق في بيان حبه لسعاد، و ما يمت إليها بصلة، كلما كان التفاته إلى رسول الله أقوى. ومعلوم أنه لم يقصد من إلقاء قصيدته هذه مدح حبيبته أبدا، بل كان كل قصده مدح رسول الله ﷺأولاً وأخيراً واستعطافه عليه السلام، ويظهر ذلك واضحاً في ترتيبه للقصيدة.

ويبدو أن كعباً رضي الله عنه لم يكن لديه معلومات كافية حول أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم فاكتفى بوصفه عليه السلام بأوصاف عامة سمعها من الناس ولم يعايشها بنفسه، فلا نجد في هذه القصيدة حظاً كبيراً للمديح المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك حظي بقبول لدى النبي صلى الله عليه وسلم وتأييد منه، وهو نقطة الجمال والكمال في هذه القصيدة. فسرد الشاعر قصيدته هذه بأسلوب شائع بين شعراء زمانه كما بيننا، ثم لما بلغ إلى هذا المكان منها تحول من ذكر الناقة إلى ذكر ابتلائه بعد صدور أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله، فربط بين ذكر سُعاد الذي استطرد في الارتباط بها من خلال وصف الناقة التى يمكنها التوصيل إليها وبين ذكر أمر صادر بقتله بصيغة المجهول، وفعل ذلك بكمال المهارة والبلاغة، فقال:

تَسعى الوُشاة جنائبهاوقولُهم إنكَ ياابن أبي سُلمى لمقتولُ

وخلاصة قوله أن الوشاة بفعلهم هذا قصدوا مقصِدَين: الأول: تنفيرسُعاد عن الشاعر، والثاني: تخويفه بتهديد النبي صلى الله عليه وسلم، فكلمة الوُشاة تدل على ذلك إذ أن الواشي يسعى بِالنميمة ليُغَيرَ القُلوبَ عن المودَّة ونحوها. ويقصد بقوله جنائبها أن الوشاة يسعون حول سُعاد يضللونها عنه ويعلنون بأن مصير ابن أبي سُلمى قتل لا محالة، فلا فائدة من تعلقها به، وهو أسلوب لطيف لبيان تبرئته من أمر سعاد وتحوله إلى المديح النبوي، فاستعماله "لمقتولُ" بصيغة المفعول دليل على قوة البيان بالتركيز الخفي على الفاعل. فكأنه يقول انتبهوا إلى من أمر بقتل كعب و تخيلوا قوته وإطاعة متبعيه له حيث يقول الوشاة " إنكَ ياابن أبي سُلمى لمقتولُ " بكل حزم وجزم فلا يشكون فيه شيئاً فيا ترى كم يكون الآمر شديدا وقوياً وكم يكون مطاعا في قومه.

ثم زاد في تصويره لقوة الآمر بقتله وهيبته – وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم– فأخذ يتخلص من ذكرسُعاد إلى الدخول على المراد من ذكر ما حصل له من الخوف عند ذلك فقالَ حين حدَّثُوه فاستجار بأخلائه فلم يسعفه أحد منهم، ومن خلال ذلك توصل إلى ذكر المقصود وهو النبي صلى الله عليه وسلم، فقال:

وقال كل خليل كنت آمُلُه‘ لأهينَّك إني عنكَ مشغول

يعني لافراغ لي لنصرتك، وأن ماوُعِدتَ به حق لايمنعك عنه أحد. وهو زيادة التوعُّد له بالتهويل والتسلّي عمايظن حصوله من السلامة من بأس رسول الله ﷺ. فكأن المعنى: لاتنتظر لك فرجًا مما عَلِمتَ، ولاتشتغل بانتظار الفرج من غير باب رسول الله ﷺ،وجِدَّ في ذلك، وقدكان عَلِمَ أنَّ مَن تَوَعَّدهُ رسول الله ﷺ بشيء لاينجو إلا به، ولامَحِيصَ له سواه. وهو من أوصافه التي من الله تعالى عليه بها، يدل على ذلك ما قدثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ﷺ حين نزل بخيبر قال:'' الله أكبَر، خَرِبَتْ خَيبَر، إنَّا إذا نَزَلْنَابِسَاحَة قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ''(٨). ونُصِرَ عليه السلام بالرعب مسيرة شهرٍ(٩). فكأنه يقول: لم يبق لي بعد ذلك إلى رسول اللهﷺ.

ولقد كان ذكياً إذ اختار لاستعطاف النبي صلى الله عليه وسلم بعد يأسه من كل صديقٍ اسماً من أسماء الله تعالى، وهو الرحمن، الذي دعى إليه صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص، ولعله رضي الله عنه اختاره لشموله الرحمة العامة الشاملة، ومن جهة أخرى فلعله كان قد سمع عن أهل مكة أنهم أبوا السجود للرحمن وردوا على النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (٥٨) الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (٥٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا (٦٠)[الفرقان ٢٥: ٥٨- ٦٠] فجعل من ذكر اسم الرحمن وسيلة له إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

فقُلتُ خَلُّوا سبيلي لاأبا لكُمُو فكلّ ماقدَّرَ الرحمن مفعولُ

وبذلك يكون قد مهّد الطريق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه قال للأخِلاء الذين تبرَّؤُا منه وعلِمَ أنه لامَنجَدَ له منهم. خلُّوا سبيلي: أي طريقي التي أسلكها لملاقاة رسول الله ﷺ، ولقد كان قد بلغه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل عن مَن يأتيه تائبًا، ولا يؤاخذ بماسَبَقَ لأحد قبل الإسلام،وهذا الباعث الأول، والثاني الاعتماد على ماقدَّرَه الله عليه وأنه لامَحِيصَ عنه فيقوله فكل ماقدَّرَالرَّحْمنُ مفعول. ثم أكّد على تكلانه على الرحمن، وعدم مبالاته من حياته في سبيل وصوله إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:

كُلُّ ابنُ أنثَى وَإِنْ طَالت سلامته يومًاعلى آلة حَدباءَ مَحْمُولُ

وهنا نرى كيف تحول الشاعر من استعمال الأساليب العامة وصيغ المجهول إلى الإفصاح بذكر النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان المقصود الذي هو إظهار توبته مماكان عليه،،ونرى أنه غيّر الأسلوب بدقة فائقة إذ بدأ المصرع الأول بصيغة المجهول للنبأ الذي وصله غير مبال بمن قاله، إلا أنه أتبع صيغة المجهول هذه بذكر رسول الله بصيغة المعروف مركزاً كل تركيز على ذكره صلى الله عليه وسلم في المصرع الأول، وواصله في المصرع الثاني بذكره ظاهراً، ثم كانت نهاية المصرع الثاني بصيغة المفعول – الذي هو مجهول في الأصل–، وهذا إن دلّ على شيء بإنه يدل على أن شخص الرسول صلى الله عليه وسلم مدار اهتمام الشاعر رضي الله عنه دون ملابسات ذكره،فقال:

أُنبئتُ أنَّ رسولَ الله أوعدَني والعفوُ عند رسول الله مأمول

فأنبِئْتُ: بصيغة المجهول يساعد على أهمية النبأ الآتي من رسو ل الله دون الاهتمام بذكر المنبئ، وذلك لعدم تعلق غرض به، أو أنه يحكيه غير جازمٍ به طلبًا للإستعطاف. وقال "رسول الله"، ولم يقل "محمداً" مع أنه لم يسبق إعلان إسلامه، وهو من فرط ذكائه تقرباً إليه عليه السلام ودليلا على أنه جاء مؤمناً مستامناً. ثم أعاد اسم رسول الله ﷺ مُظهرًا في قوله: "والعفوعند رسول الله مأمول" وذلك لإظهار التعظيم والتأكيد على صدق توبته. وقد عُلِمَ إسلامه بهذاحيث ذكر أنه ﷺ رسولُ الله حق، وإن كان الحُكم في ذلك موقوفًا على النطق بالشهادتين كماوقع له

حين تشافه رسولَ الله ﷺ. وقدتواترتِ الأخبارُ، واشتهرت الآثارُ بصفة العفو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد انعقد عليه الإجماع مالم يكن ذلك في حد من حدود الله، أولإنتهاك حُرمة من حُرُمات الله كماقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "مارأيتُ رسول الله ﷺ منتصرًا من ظلامة ظُلِمَها مالم تكن حُرمة من محارم الله عزوجل، وماضربَ بيده قط شيئًا إلا أن يجاهدَ في سبيل الله، وماضَرَبَ خادِمًا، ولاامرأة" ١٠. وفي حديثها الآخر: "وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حُرمات الله تعالى لينتقم لذلك١١، وجيءَ إليه بِرجُلٍ فقيل: هذا أرادأن يقتلك فقال له النبي ﷺ: لن تراع لن تراع، ولو أردت ذلك لن تُسلط على. وتصدَّى له غورث بن الحارث في بعض الغزوات١٢ وهو ﷺ مستندٌ تحت شجرة وحده قائلاً والناس قائلون فلم ينتبه ﷺ إلا وهو قائمٌ بالسيف صَلْتًا في يده فقال: من يمنعك منّي ؟ فقال :"الله". فسقط السيف من يده، فأخذه رسول الله ﷺ وقال: مَن يمنعك مني ؟ فقال: كن خير آخذٍ، فتركه وعفاعنه،فجاء قومَه فقال: جئتكم من عند خير الناس"١٣. وغير ذلك من الأخبار المشهورة والمتواترة والقصص المعلومة. فكأنه يقول: بلغني وعيد رسول الله ﷺ إياي والحال أن العفو والتجاوز عني عند رسول اللهﷺ مَرجُوٌّ، فكان الأمر كذلك.

وكمال بيانه أنه يتقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رويداً رويداً، حتى يصل إلى هذا البيت فالتفت من غيبته عن رسول الله ﷺ إلى حضوره وخطابه تتميمًا للإستعطاف، ويذكر أوصافه واحداً تلو الآخر، فبعد أن أقر برسالته عليه السلام، اعترف بحقية القرآن، وأنه منَزَّ لٌ من الله تعالى، فقال:

مَهلاًهداك الذي أعطاكَ نافلة الـ قُرآنِ فيه مواعيظٌ وتفصيل

قال الحافظ السيوطي رحمه الله في شرحه على القصيدة: فإن قيل إذا كان معنى النافلة الزيادة فماالمراد بزيادة القرآن هنا ؟ فالجواب ماأشار إليه ابن هشام رحمه الله في شرحه أن الله أنزل على رسوله ﷺ آياتٍ عظيمةً علَّمه إياها، وجعلَ الكتابَ زيادة كمافي قوله تعالى :{ثُمَّ اتَيناَمُوْسٰى الْكتَابَ تَمَامًاعلَى الَّذِيْ أَحْسَنَ}(١٤). زيادة على العلم الذي أتقنه. وهذا الذي ذكره ابن هشام وارتضاه الحافظ(١٥)، محله إن جعلت الإضافة في نافلة القرآن للبيان، وإن جعلت بعض المدلول للدلالة فإنَّ القرآن يدل على الفرائض والنوافل وغير ذلك. ونكتة تخصيصه النافلة في الإضافة لكون العفو والصفح المطلوب من نافلة القرآن لامن فرائضه، لتمام الاستعطاف والتسليم لكونه يستحق العُقوبة، وعمم هذا المرادبقوله فيه مواعيظٌ من فضل العفو والصفح،كقوله تعالى:{فَاعْفُ عَنهمْ وَاصْفَحْ} (١٦)، و{أَنْ تَعْفُوْا أَقْرَبُ للتَّقْوٰى}(١٧). وفيه تفصيل من جهة كون العفوعنه، وليس فيه إبطالُ حد من حدود الله كمافي حديث المرأة التي سَرَقَتْ فكُلِّمَ أُسامة ابنُ زيدٍ ليكَلِّمَ فيها رسولَ الله ﷺ ليعفوعن قطع يدهافلم يفعل رسول الله ﷺ (١٨). فكأنَّ كعبًا يشيرُ إلى أنَّ العفو عنه لاينزل عن درجة النفل مع كونه جاء مُؤمِنًا مُسلمًا.وأنّه من فيض ممدوحه صلى الله عليه وسلم.ثم أتى بنقطة لطيفة يشير بها إلى أن باب العفو عنه ليس بمسدود لأن ذنبه كان قبل إسلامه فلا يحَتِّم عليه القتل ولايمنعُ عنه العفوفقال متضَرِّعًا مستقبِلاً:

لاتأخُذَنِّي بِأقوالِ الوُشاة ولمْ أُذْنِبْ وإن كَثُرَت فِيَّ الأقاويل

فكأنه يقول لاتُرَتِّبْ عقوبتي بسبب أقوال الوُشاة لأن ذنبي كان قبل إسلامي فلا يقتضي عدمَ العفوألبتة وأني قد جئتُ مسلمًا. فاندفَعَ مايقال أنه كتب إلي أخيه بُجَيرٍ يذُمُّ الدينَ، ولما أهدر رسول الله ﷺ دَمَه كتب إليه بُجَير بذلك، وأنه لايؤاخِذُ بماقبل الإسلام. فأتضرَّعُ إليك في العفو وترك المؤاخذة بسبب نقل الوُشاة ماليس بصحيحٍ في حال كوني لم أرتكب ذنبًا يمنع عنّي العفو وإن كَثُروا فِيَّ.

لم يكتف الشاعر رضى الله عنه بإلقاء المسؤولية على عاتق الوشاة، بل بالغ في الاستعطاف بذكر هيبة رسول الله ووصفها بأسلوب رائع يدعوا إلى العطف عليه فقال:

لقد أقومُ مَقامًا لو يقومُ به أرى وأسمع لويسمعُ الفيل

لظَلَّ يرعَد إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل

فكأنه يقول: والله لقد أقوم قيامًا بين يدَي رسول الله ﷺ أراه وأسمعه، لويقوم فيه الفيل مع عِظَمه من كل وجه فيرى ويسمع ما أرى وأسمع لاستمرَّ مُنزعجًا متحرك الأعضاء رُعبًا وفزعاً، إلا أن يمُنَّ عليه رسول الله ﷺ بإذن الله عز وجل وفضله بأمانٍ مما يخافه ويجده من هيبة رسول الله ﷺ، و قد تواترت الأخبار أنه ﷺ مع كمال تلطفه ورفقه ومؤانسته كان أشدَّ هيبَة من الملوك وأقوى رَهبة في الصدور، وماكان لطفه يزيدُهم إلا هيبة له ووقارًا، وقد وصف السيد على رضي الله عنه مجلسه ﷺ فقال:" إذاتكلم أطرقَ جُلَساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذاسكتَ تكلَّمُوا لايتنازعون الحديث، من تكلم عنده أنصتوا له حتى يفرغ مِن حديثه(١٩)'' وفي صحيح مسلم من حديث عمروبن العاص رضي الله عنه: وما كنتُ أُطيقُ مِلْ ء عيني منه إجلالاً لهﷺ، ولو قيل لي صِفْه لمااستطعتُ، لأني لم أكن أمْلأُ عيني منه(٢٠)، وربما غلَبَتِ الهيبة على رائيه حتى تأخذه الرعدة، فقدجاء أنه دخلَ عليهﷺ رجلٌ فأصابته من هيبته رعدة فقال له: '' هوّن عليك فَإنَّمَا أنَا ابْنُ امْرَأة مِن قُريش تَأْكُلُ الْقَدِيدَ(٢١)". وهذه هيبة الأبصار، وأمَّا هيبة السماع فلصولة الحق الذي يسمع منه وينطق به، ونطقُه عن الحق، وللحق صولة الملك في رعيته، ومنها القرآن، فإنَّ له روعة تلحق قلوبَ سامعيه، وهيبة تعتريهم عند تلاوته لقوة جلالته، قال الله تعالى:{لَوْ أَنْزَلْنَا هٰذَاالْقُرْآنَ علَى جَبَلٍ لَرَأَيته خَاشِعًا مُتَصَدِّعْا مِنْ خَشْية الله (٢٢)} وقال تعالى: {تَقْشَعِرُّ مِنه جُلُوْدُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبهمْ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُوْدُهمْ وَقُلُوْبهمْ إِلَى ذِكرِ الله(٢٣)} وقدثبت من حديث جُبير بن مُطْعِمٍ رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بِ "الطُّورِ"، فلما بلغ هذه الآية: {أَمْ خُلِقُوْامِنْ غَيرِ شيء أَمْ همُ الْخَالِقُوْنَ... إلي قوله: الْمُسَيطِرُوْنَ(٢٤)}، كادقلبي يطيرُ وذلك أوَّلَ ماوَقَرَ الإسلامُ في قلبي (٢٥). إلى غير ذلك من الأخبار والآ ثار.

ثم يجسد رضي الله عنه مشاعره في كلماته عند قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصافحته لأول مرة في حياته، وخاصة بعد أن أهدر عليه السلام دمه. وقوة البيان تكمن في إتيان هذا المنظر بعد أن قارن حاله مع حال الفيل الذي لايطيق هذه الوقفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمَرىً ومَسمع منه عليه السلام، مع أن الفيل أقوى قلبا وأصمد جسداً من الإنسان، فقال:

حتى وضعتُ يميني لاأُنازعُه في كَفٍّ ذي نَقَمَاتٍ قيلُه القيل

نرى كيف يُعرِب الشاعر عن فرحه وسرورِه وسعادته، فالمصافحةبذاتها سنة ومكرمة، وأحرى ماتشرف به اليمين مصافحة سيد المرسلين ﷺ. ثم يبدي مشاعره في هذه الحال بأن هذه الكف المباركة كان بإمكانها أن تتحرك للانتقام مني، ولتعزيري على ما بدر مني في حق رسول الله وحق المسلمين إذكنت أجهل مكانته، كما أنه كان من الممكن أن يأمر أحدا من أصحابه فيقتلونني لأن كلمته مسموعة وأمره مطاع، عبّر عن ذلك بقوله " قيلُه القيل"، إلا أنه بمجرد حضوري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووضع يدي في يده انتهت المعارضة وَتفندت المنازعة، وهو شعور يفتخر به الشاعر.قيل أن كعباً رضي الله عنه عندما قدم على رسول اللهﷺ وهو في المسجد، وضعَ يده في يده وقال يا رسول الله إنَّ كعب بن زهير جاء ليستأمن منكَ تائبًا مسلمًا فهل أنت قابِلٌ منه إن أناجِئتكَ به،

قال نعم، فقال يارسول الله: أنا كعب بن زهير. فقال: الذي يقول مايقول؟ ثم أقبَلَ على أبي بكر فاستنشده الذي كان قد بَلَغَ رسولَ اللهﷺ عنه، فأنشده أبو بكرٍ:

سقاك بها المأمون كأسًا روية فأهلَكَ المأمون منها وعَلَّكَا

فقال: لم أقل هذا، وإنما قلتُ: سقاكَ أبوبكرٍ بكأسٍ روية وأهلَكَ المأمون، فقال رسول الله ﷺ مأمونٌ والله، فوثبَ عليه رجُلٌ من الأنصار فقال يا رسول الله دعني وَعَدُوَّ الله أضربُ عُنُقَه، فقال: دعه عنك، فإنه قد جاءنا تائبًا نازعًا، ثم أنشدَ القصيدة بين يدَي رسول الله وهو يسمع. فكأنه يقول: دنوت من رسول الله ﷺ قائمًا حتى جلست بين يديه ووضعت يميني في كفه ﷺ مستسلمًا له لأنازعه أمره، والحال أن أمره هو الأمر المطاع وغيره لاشيء.

ثم بعد ذكره أنَّ رسولَ اللهﷺ ذوبأس شديد لا ينازَعُ في أمره ونهيه، زادَ أنه ﷺ أشدُّ هيبة من الليوث العظيمة والمنِعة، وخاصة عندما أقف أمامه لأكلمه، ويقول لي الناس أني منسوب ومسؤول لا محالة، فقال:

لَذَاكَ أهيب عِندي إذْ أُكَلِّمُه وقيل إنكَ منسوبٌ ومسؤول

مِن خادِرٍ مِن ليوثِ الأسْدِ مَسكَنه مِن بَطْنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونه غيل

ومعنى منسوبٌ: أي مسؤولٌ عن نسبك الذي زعمتَ أنَّ مَن تُنسَبُ إليهم يحمونَكَ، وقد تبرَّءُ وا منك، ومسؤولٌ عما بلغَ رسولَ الله ﷺ عنك. ويعني أن هذه الهيبة أشدّ عندي من هيبة ليوثٍ أشِدَّاء مختبئة في خدورها في مكان يسمى بطن عَثَّر تغطيها أشجار ملتفة بعضها ببعض، فيشبه أجَمة من قصب يأوَى إليها الأسد(٢٦). فكأنه يقول: لَرسولُ الله ﷺ في فُؤادي أشدُّ هيبة من أشدِّ ليثٍ في حالِ سَماعي مالاجوابَ لي عنه مما أستَحِقُّ به كُلَّ عقوبة.

ثم بدأ يزيد في وصفِ الليثِ الخادِرالذي هيبتُه دونَ ماوجدَه فكأنه يقول يذهبُ الخادِرُ المذكور غداة النهارِ لكمالِ شَجاعته لا يختَلِسُ مايريده فيطعمُ ولديه لحمًا من لحوم الرجالِ كثيرًا، ولكثرته مُلقًى على التُّرابِ مقطوعًا قِطَعًا صِغارًا لعدم شَهوة منهما في الأكل، ولشَبَعِهما بكثرته،فهو في غدوه هذا أهيب منه في كونه خادِرًا.قال رضى الله عنه:

يغدو فيلحمُ ضِرغامين عيشُهمالحمٌ مِن القومِ مَعْفُورٌ خَراديل

وبذلك فإنَّ كعبًا رضى الله عنه لما أوقعَ الله في قلبه من الإيمان برسول اللهﷺ مالايقَدَّرُ قَدَرُه ممزوجًا بتلك الهيبة منه ﷺ، فوقف به العِجز عن نعتِ رسول اللهﷺ لِحيرته، فأخذ يقَرِّبُ ذلك بالمِثَل، ويبرزُ ما وَجَدَ ه في نفسه في ذلك ومرادِه، لازمَ هذه الأمورَ مِن قدرِ مامنحَه الله لهﷺ.

ثم وصف الخادِرَ بجهة أخرى من الشجاعة فقال:

إذايساوِرُ قِرْنًا لايحِلُّ له أن يترُكَ القِرنَ إلا وهو مفلول

يعني ذلك عندما يثب أحَدُ الأقران الشجعاء المقاومين على الآخر ليفترسه،لايجد لقوَّة سطوته مجال لأن يترك ذلك القِرنَ بحالٍ من الأحوالِ. إلا وهو مفلولٌ ومكسورٌ. فكأنه يقول: وعندما غالَبَ ذلكَ الخادرَ شُجاعٌ يقارنه شجاعة لايتركه يذهبُ بلا عطبٍ، إمَّا بكسره أوبقتله. وفي ذلك إشارة واضحة من الشاعر رضى الله عنه إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من خصائصه ﷺ أنه لايجوزُله أن يوَلِّي عن العدوِّ ولوكانوا أُلوفًا، ولم يعرف له ﷺ أنه أدبَرَ يومًا في الحرب.(٢٧)

ثم زاد للخادر غيرَ ماسبقَ من الوصف فقال:

منه تظلُّ سِباعُ الجوِّ ضامِزَة ولاتُمشَى بواديه الأراجيل

يعني تدوم الأسودُ وكواسر الطيور التي بين السماء والأرض خوفًا من ذلك الخادر ساكنة أو ساكتة أوخميصة البطون. وكذلك تمتنع جموع الرجال الكثيرين من المرور بما ينسَبُ له من الأرض.

ثم قرر ما تضمنه البيت السابق، وذَكَرَ مثالاً من بأسه فقال:

ولايزالُ بواديه أخُو ثِقة مُطَرَّحَ البَزِّ والدِرسانِ مأكول

فكأنه يقول: ولايمر بواديه إلا الشجاع الذي يثق بشجاعته ويحتمي بسلاحه، ومع ذلك لا يسلم من بأس ذلك الخادر فيوجَد بذلك الوادي مأكولاً قد مزقت ثيابه و طُرِحَ سِلاحُه لايُعْبَؤُ بهما، ولايُلتَفَتُ إليهما.

فلما أتم وصفَ الخادرِ الذي لا يعبأ بهيبته أمام هيبة النبي صلى الله عليه وسلم، عادَ إلى التصريح بمدح النبيﷺ ويصف وصفاً آخر من أوصافه صلى الله عليه وسلم، واصل فيه بيان سبب هيبته مكيّفاً مع مجتمع جزيرة العرب الذي تتكلم فيه السيوف أكثر من كلام الألسن فقال:

إنَّ الرَّسولَ لسَيفٌ يستضاء به مُهنَّدٌ من سيوفِ الله مسلولُ

أي أنَّ رسولَ الله ﷺ لسيفٌ قاطعٌ بإمكانه قطع كلَّ ضلالٍ، ولكنه مع قوته وسطوته وشجاعته يفضّل هداية الناس ودعوتهم دون استعمال القوة وقتل من لا يلبي دعوته. ويدل المصرع الثاني على أن هذا السيف مع كونه يضيء طريق الهداية مسلول مُخْرَجٌ من غِمده لبيان تهيئته ﷺ لإقامة الدين وردِّ المعاندين. ويدفع قوله " من سيوفِ الله" شبهة القائلين بأن السيوف التي يصنعها الحدّادون لا تستعمل للإضاءة فكيف يستقيم تشبيه رسول الله "بالسيف" واستعماله للإضاءة، فالجواب أنه ليس بسيف منسوب إلى صنعة قَينٍ، بل إنه سيفٌ من "سيوف الله" سلّه الله بصفتيه: الإضاءة والقطع فلا تصلح نسبته إلى سيوف الناس، وليس هذا التشبيه إلا تقريباً لأفهام الخلق.وهناك تعبير مادي لقوله " لسَيفٌ يستضاء به " وهو أن من عادة العرب أنهم إذا أرادوا استدعاءَ مَن حولهم من القومِ في ليل أو نهارٍ شَهرُواالسيفَ الصَّقِيلَ وَبُرِقَ به، فتظهرُ لامعته على بُعدٍ فيأتوا إليه مُهتَدينَ بنوره ومؤتَمِّين بهديه، والرسول ﷺ لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة، ودَعَا الناسَ إلى الله أتوا مُهتَدِينَ بنوره الطالع وسَناه الساطع وضيائه اللامع. وقدوردَ من هذا المعنَى في القرآن: {يأيهاالنبي صلى الله عليه وسلمنَّا أَرْسَلْنَاك شَاهدًا وَمُبَشّرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيا إلى الله بِإِذْنه وَسِرَاجًا مُنِيرًا }(٢٨). فشبهه بالسراج عند ما وَصفَه بكونه داعيا إلى الله بإذنه. إنني أحترم هذا التعبير ولكن لي لاحظة بسيطة، وهي أنّ الرسول عليه السلام بثّ الضياء لهداية الناس كاالسراج والشمس، ولم يكن شأنه للمعان مرتكزاً في مكانه، ينتظر وفدهم إليه، فإن ذلك قد يكون محدداً من نشاطه الدعوي إلى مركزية، والله أعلم.

وفي رواية أبي بكر ابن الأنبارى أنه لما وصَلَ إلى قوله:

إنَّ الرَّسُولَ لسيفٌ يستضاء به مُهنَّدٌ من سيوفِ الله مسلول

رمَى له بُردة كانت عليه، وأنَّ معاوية رضى الله عنه بذَلَ فيهاعشرة آلاف درهم فقال: ماكنت أوثر بثوب رسول الله ﷺ أحدًا. فلما مات كعب بعث معاوية رضي الله عنهما إلى ورثته عشرين ألفًا فأخذها منهم، وهي البردة التي عند السلاطين اليوم،انتهى(٢٩).

لم يكتف الشاعر بمدح النبي صلى الله عليه وسلّم، بل مدح أيضاً من سانده في مكة من قريش، ولكنه لم يمدحهم لوحدهم، بل جعل مركز المدح شخصية النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلاله دخلَ في مدح قريش، فكأنه جعل اجتماعهم حول النبي صلى الله عليه وسلم، وحمايتهم له- وصفاً من أوصافه صلى الله عليه وسلم فقال:

في فتية من قُرَيشٍ قالَ قائلُهم ببطن مَكة لما أسلَمُوازُولُوا

يعني أن فتيان قريش لما دخلوا في الإسلام- واتفق أن أول من أسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وهي زوج النبيﷺ، ثم اختلف في إسلام مَن بعدها، فقيل على بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمره تسع سنين أو عشر أو احدي عشرة، وكان في حِجر رسول اللهﷺ، ثم زيدبن حارثة مولي رسول اللهﷺ كان اشتراه وأعتقه(٣٠)، ثم أبوبكرٍ رضي الله عنه. وقيل أول من أسلم أبوبكرٍ رضي الله عنه، ثم عثمان بن عفان، وقيل عبدالرحمن ابن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبيربن العوام، وطلحة بن عبيدالله، ثم أبوعبيدة بن الجراح، وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد، وعبد الله بن مسعود، وعماربن ياسر، ثم حمزة رضى الله عنه وعنهم. وهوالذي قال لهم زولوا: أي اذهبوا بدينكم إلى غير مكة. فمدح النبي صلى الله عليه وسلم بإسلام فتية من قريش، ثم تركهم موطن آبائهم مكة لأجل النبي والإسلام، فكان كل ذلك مدحاً له، ودلالة على نجاح دعوته.قال محمد البديري القدسي:اعلم أنَّ كلَّ مُوَفَّقٍ لابد له إذاتحقق بالإسلام والإيمان أن يزول عما هوعليه، ويتجرد مماخُلِطَ في أصل طبعَيه. وأعني بهما الطبعُ النفساني والطبع الشيطاني، بحيث لايصير لواحدٍ منهما عَلَقَة فيه، ويصير ميلُهُ وهمُّه لماجاء به الشرع فيمايخفيه أويبديه.

ثم يواصل الشاعر مدحه عليه السلام بنجاحه في إستمالة فتية من قريش إلى الإيمان به والوقوف معه، وبعد أن بيّن أنهم زالوا عن مَكة مهاجرين، أشارَ إلى أنهم كانوا على أكمل حالٍ في بواطِنهم من حيثُ الاعتمادُ على الله عزَّ وجلَّ، ومن حيثُ كانت لهم منعة وشِدَّة لاغَيرَ ذلك فقال:

زالوا فمازالَ أنكاسٌ ولاكشُفٌ عندَ اللِقاءِ ولامِيلٌ معازيلُ

ويعني إن الذين ذهبُوا من مكة مهاجرين، لم يكن من بينهم نِكسٌ أو ضعيفٌ مهينٌ، ولا كشف لايملك تُرساً وأسلحة في الحرب، وكذلك لم يكن بينهم أمْيل الذي لاسيفَ معه، أو الذي لايحسِنُ الرُّكوبَ ولايقرُّ على السرج. فكأنه يقول: ذَهبُوامن بطن مكة عمَلاً بقولِ قائلهم، ولم يكن فيهم ضعفٌ ولاوهنٌ ولاعدمُ سلاح، ولامَن يخَافُ ركوبَ الدابة، بل كانوا مُعظمينَ لهم أتراسٌ للحُروبِ وأسلحة لقتال الأعداءِ، أقوياء على ركوبِ الخَيل وغَيرِها.

ثم قرر ماكنَّى عنه في البيت السابق تصريحًا فقال:

شُمُّ العَرانينِ أبطالٌ لَبوسهم من نسج داودَ في الهيجاءِ سرابيلُ

يعني هم شُمُّ الأنوف مُرتفِعي العرانين أبطالٌ شجعان، وسلاحهم فتّاك ودروعهم متينة كأنها من نَسج نبي الله داود عليه السلام. فكأنه يقول :أولئك الفِتية ذوُوا رِفعة قَدرًا، وأهلُ شجاعة تامة، ملابسهم في الحربِ دُروعُ الحديد لامُطلَقاتٌ بل منسوجاتُ داود عليه الصلاة والسلام. ولايقالُ: إنَّ من كمال الشجاعة أن لايحتاجَ الشُّجاعُ إلى سلاح، فهم مسلّحون، مستعدون لمواجهة أي بأس قد يواجههم.

ثم وَصَفَ تلك السرابيلَ بأوصافٍ محمودَة تستلزمُ الثناءَ على أربابها، ومن ثم تستدعي المدح على من كان سبب هدايتهم إلى طريق الحق، وهو النبي صلى الله عليه وسلم. فقال:

بِيضٌ سوابِغُ قدشُكت لها حَلَقٌ كأنه حَلَقُ القَفعاءِ مَجدُول

يعني هذه السرابيل بِيضٌ مَجْلُوَّة، طويلة وسابغة قد نسجت بحلقات دخَلَ بعضُها في بَعضٍ،كأن هذه الحلق حلق شجر القفعاءِ الذي ينبتُ على وجه الأرض متداخلٌ بعضه في بعضٍ، فشبه به حَلَقَ السرابيل. مجدولٌ: مُحكم الصنعة. فكأنه يقول: إن تلك السرابيل التي هي لَبوسُ الممدوحين الأبطال بِيضٌ مجلُوَّة لاصَدَأ بها، مع تقادم عهدٍ

من نَسجها وبُعدِ زَمَنه طويلة قد تداخَلَ حَلَقُها بعضُه في بعضٍ تداخُلاً شديدًا كتداخل ذلك الشجر ويفيد تداخلها وصفَهابالثقل، وإتقان صنعها، وذلك دليل قوة بدن لابسيها رضي الله عنهم، وصلي الله على من هداهم به وسلم.

ثم أشار من خلال بيان كمالِهم في ثَباتهم إلى قوة إيمانهم وعلمهم بماقدَّرَه الله عز وجل، والرِّضَى بمايقتضيه تبارَك وتعالى، لاحَظَّ لهم في شيء إلاماكان لأمرِ ربَّانِي فقال:

لايفرَحُونَ إذانالت رِماحهم قَومًا ولَيسُوابَجازيعًا إذانِيلُوا

يعني أولئك الفتية الكرام رضى الله عنهم، لاتستميلهم رعونات النفوس، بل إن فَرِحُوا فبفضل الله ورحمته لابغيرهما. وذلك إذانالت رماحهم فظَفِرُوا بسببها في القتال. وكذلك فإنهم ليسوا مجازيعًا خائفين. إذا أُصِيبُوا وظَفِرَ بهم العَدوُّ، فلايمنعُهم ذلك عن مقابلة الأعداء.فكأنه يقول :لاولاية لنفوسهم عليهم في شيء لأن جاء ها ما تُحب أو غيره، كما قال تعالى:{قُلْ كلٌّ مِنْ عِنْدِ الله، فَمَا لِهٰؤُلاءِ الْقَوْمِ لايكادُوْنَ يفْقَهوْنَ حَدِيثًا}(٣١).

ثم تمم وصفهم الذي سبق في البيت من حيث عدم فرحهم وجزعهم بكمال حلمهم وإنابتهم في سيرِهم وغيره لإعتمادهم على الله عزوجل فقال:

يمشونَ مَشيَ الجِمالِ الزُّهرِ يعصمُهم ضَربٌ إذاعَرَّدَ السُّودُ التنابيل

يعني أنهم من حيثُ التأنِّي وعدم الإكتراثِ بمأمامهم في هيئاتِ البياضِ، يمشُونَ مَشْيَ الجِمالِ البيض، يحفظهم نوعٌ خاص من الجَلد وقوة الصبر، وذلك في وقت يُعْرَضَ فيه الأعداء السُّودُ القصار و يفرّون. فكأنه يقول: هم رضي الله عنهم يمشون مشيَ الهوَينَا بالسكينة والوقار، طِوالُ القاماتِ، بيضُ الألوانِ حالَ كونهم محفوظِينَ بحافِظِ القُوَّة والصبر عن الفرار من عدوِّهم في وقتٍ يفِرُّ فيه لِهوله الأعداء، سُودُالألوانِ، قِصارُ الأبدانِ في سرعة شديدة، وجزع شديدٍ.

ثم أتمَّ القصيدة المباركة بذكر مايدل على الشهادة لهم والفوزِ من الله تعالى بالمكانة الزلفَي على وجه كمال الثبات منهم إيمانًا بوعدالله إياهم كلَّ فضل ورحمة رضى الله عنهم أجمعين فقال:

لايقَعُ الطعنُ إلا في نحُورِهم ومالهم عن حياضِ الموتِ تهليل

يعني إنهم يكونون إلى الأعداءِ أقربُ إليهم من بعضهم بحيثُ لايطعَنُون إلا في نحورهم لتقدمهم طَلَبًا للشهادة ونحوِها، فلا يتأخرون عن موارِدِ الموتِ، لعلمهم بفضل الجهاد في سبيل الله والاستشهاد في ذلك. فكأنه يقول: لايوَلُّونَ عن طعن الأعداءِ وإن كانوا ضامرين بل يدنونَ منهم غاية الدنُوّ، وإذا عَلِمُوا بِعَطبٍ من الأعداءِ لايتأخرونَ عنه لما تقدَّمَ.

وبذلك نرى غاية الجمال والنسق في قصيدته لفظا ومعنىً، ويبقى المديح النبوي الشريف نقطة التركيز مهما ابتعد عنه الشاعر بذكر سعاد، والنوق، والأسود الخوادر، وغير ذلك، ويكمن كمال بيانه كذلك عندما مدح المهاجرين والأنصار ولكنه لم يزل يدور في مداره من شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وخلاصة مدحه مركزية النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه لا مدح لمن التحق به إلا يؤكد علاقته به صلى الله عليه وسلم، فجزاه الله خيراً ورضي عنه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

الهوامش

(١) البيهقي: دلائل النبوَّة ٥ : ٢٠٧، ابن كثير في البداية والنهاية ٤: ٤٣١، أبو الفرج الأصفهاني:- الأغاني ١٧: ٩١ -

(٢) الأصفهاني: الأغاني ١٧: ٩١، ابن قُتيبة: الشعر والشعراء ٨١:١، الأعلام ٥ : ٢٢٦، الإصابة ٣:٢٩٥

(٣) لسان العرب (شعر)، الإستيعاب علي هامش الإصابة ٣ : ٢٩٩، الأغاني ١٠ : ٣٣٦، ٣٦٤ -

(٤) الشعر والشعراء ٨٩:١، وزاد كارل بروكلمان أنَّ أكثر أهل قبيلته مزينة أيضاً أسلموا، فهجاهم كعب- تاريخ الأدب العربي، بروكلمان ١ : ١٥٦ سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٢، الإستيعاب علي هامش الإصابة ١: ١٧٠، أسد الغابة ١ : ١٦٤.

(٥) البداية والنهاية ٤ : ٤٢٧، دلائل النبوة ٥ : ٢٠٧، سيرة ابن هشام ٤: ١١

(٦) شرح السكري ص ٤

(٧) كانَ إسلامُه رضي الله عنه حوالي أواخِرِ سنة ثمانٍ (٨)أو في أوَّلِ سنة تِسعٍ(٩) من الهجرة، والثاني هو الراجح - وقد حاولَ عُمر فروخ تعيين هذاالزمان، فقال : '' فعَزَمَ في سنة ٩ هـ /٦٣٠م على أن يستأمن إلى رسول الله ﷺ ''-تاريخ الأدب العربي عمر فروخ ١:٢٨٣-

(٨) البخاري : في كتاب الصلاة، و الأذان، و الجمعة، والجهاد والسير، والمناقب، والمغازي، ومسلم: في كتابَي النكاح والجهاد، والترمذي : في السير، والنسائي: في المواقيت، والنكاح، والصيد والذبائح.

(٩) كما ورد في الحديث، رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه. البخاري: كتاب الصلاة، وكتاب الجهاد والسير، ومسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة، والنسائي : في الغسل والتيمم، آخرون مثلهم.

(١٠) الأحاديث في الموضوع كثيرة . باختلاف يسير جدًّا في اللفظ . وكلهامن رواية أم المؤ منين عائشة الصديقة رضي الله عنها-منها ماأخرجه مسلم في كتاب الفضائل، وأحمد في باقي مسند الأنصار، وأبوداود في الأدب، والدارمي في النكاح-

(١١) البخاري، كتاب الحدود-

(١٢) هي غزوة ذات الرقاع كما ذكره البخاري رحمه الله. فتح الباري، المغازي ٩: ٤١٨، وذكر القرطبي عن كل من الواقدي وأبي حاتم الرازي وابن المنذر والبيهقي أن اسمه دُعثور بن الحارث - تفسير القرطبي ٥: ١١١ سورة المائدة :١١، قال ابن هشام (المؤرخ) : هو من بني غطفان ومُحارب - السيرة النبوية٣ : ١٦٣ -

(١٣) أخرجه البخاري في المغازي عن جابرٍ رضي الله عنه،وأحمد في باقي مسند المكثرين عنه أيضاً، ونقله ابن هشام (المؤرخ) عن ابن إسحاق بلفظ مختلف- سيرة ابن هشام٣: ١٦٣.

(١٤) الأنعام : ١٥٤-

(١٥) شرح ابن هشام ص ٢٧٣، كنه المراد ق ٥٦ألف . ب.

(١٦) المائدة : ١٣-

(١٧) البقرة : ٢٣٧-

(١٨) أخرجه البخاري في حديث الأنبياء، وفي الحدود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، ومسلم، والترمذي، وأبوداود، وابن ماجة، والدارمي كلهم في الحدود، والنسائي في قطع السارق، وأحمد في باقي مسند المكثرين عن جابر رضي الله عنه-

(١٩) شرح الحافظ السيوطي رحمه الله: كنه المراد ق ٥٨ب، و أخرج أبوداود ما في معناه، في كتاب الطب عن أسامة ابن شريك -

(٢٠) مسلم، كتاب الإيمان، وأحمد، مسند الشاميين -

(٢١) ابن ماجة، كتاب الأطعمة، عن أبي مسعود رضي الله عنه باختلافٍ في اللفظ، ولم أجده عند غيره-

(٢٢) الحشر : ٢١-

(٢٣) الزمر : ٢٣-

(٢٤) الطور : ٣٥-

(٢٥) البخاري : في كتابَي المغازي وتفسير القرآن، ابن ماجة : في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، أحمد : في مسند المدنيين، عن جبيربن مطعم -

(٢٦) القاموس المحيط (غيل)-

(٢٧) ومن ذلك مارواه أبو إسحاق عن البراء ابن عازبٍ رضي الله عنه قال: ''سأل رجل البراء رضي الله عنه فقال : ياأباعُمارة أوَلَّيتم يومَ حُنينٍ، قال البراء : ـ وأناأسمع ـ أمَّا رسول الله لم يولِّ - يومئذٍ كان أبوسفيان بن الحارث آخذًا بعنان بغلته، فلما غشيه المشركون، نزلَ فجعل يقول :أناالنبيُّ لا كذب– أناابن عبد المطلب قال : فمارُئيَ من الناس يومئذٍ أشدّ منه'' ـ البخاري : كتاب الجهاد والسير، وأخرجه أيضاً في المغازي باختلافٍ يسير في اللفظ. ورواه مسلم في الجهاد والسير باختلاف يسير في اللفظ. والترمذي في كتاب الجهاد، وأحمد في مسند الكوفيين عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه.

(٢٨) الأحزاب : ٤٦.

(٢٩) قال ابن كثير : وردفي بعض الروآيات أنَّ رسول الله أعطاه بردته حين أنشده القصيدة، وقد نظم ذلك الصرصري في بعض مدائحه، وهكذا ذكر الحافظ أبوالحسن ابن الأثير في أسد الغابة، قال : وهي البردة التي عند الخلفاء- قلت : وهذا من الأمور المشهورة جدًّا ولكن لم أر ذلك في شئٍ من هذه الكتب المشهورة بإسنادٍ أرتضيه فالله أعلم- البداية والنهاية ٤ : ٤٣٣-

(٣٠) هو زيدبن حارثة بن شراحيل الكلبي (ت ٨ هـ / ٦٢٩م)، اختطِفَ في الجاهلية وهو صغير، واشترته خديجة رضي الله عنها ثم وهبته إلى النبي، فتبناه النبي ـ قبل البعثة ـ، وأعتقه وزوَّجه بنتَ عمه، هو من أقدم الصحابة إسلامًا،كان عليه السلام يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها- أعلام الزركلي ٣: ٥٧-

(٣١) النساء : ٧٨-

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆